تفتح ملف.. "العاصمة الأسوأ"

بغداد إلى أين؟

((الحلقة الثامنة))

تلوح سيارات حكومية من بعيد ، تتأرجح فوق الحفر والمطبات ، يستيقظ أهالي المنطقة من نومهم القلق ... تركض امرأة على "ماطور" الماء لتسبق الجيران بملء خزانها العطش منذ أيام ...المدافئ الكهربائية ساكتة، والوقود "النفطية " شارفت على الانقضاء ...تشعر المرأة العجوز بالبرد في صباح شتائي غائم ...

سكنة (الثعالبة) : مكرها لم يجد الخلاص !

■ ٣٠٠ مليون دينار (سبيس).. والمنطقة من دون تبليط ومجارٍ

■ الأهالي يمدّون خراطيم لـ٢٠٠ متر للحصول على الماء.. والكهرباء "تجطيل"!

□ بغداد/ وائل نعمة
□ عدسة/ أدهم يوسف

معظم الرجال خرجوا عند بزوغ الفجر الى أعمالهم ولم يبق غير الأطفال والنساء... تأخذ العجوز على كتفها "جلكان" النفط ، تقف أكثر من نصف ساعة تنتظر (أهل الرحم) ليقلونها إلى منطقة أخرى قد تحصل منها على بعض الوقود... في ذلك الوقت يمر موكب حكومي مؤججا غبار الطريق أمام وجهها ...إنه مسؤول بلدي ، قرر أخيراً زيارة المنطقة ...أعدّ الأهالي ملفاتهم واخرجوا شكاوى كادت تصفر من قدمها، وهرعوا لاستقباله ، مرّ بهم ولم يلتفت إلى حالهم ، واختفت ابتسامتهم وترحيبهم بالمسؤول شيئاً فشيئا مع ابتعاد سيارته عن واقعهم المأساوي ...كانت تنتظره هناك مراسيم استقبال من نوع آخر ، فيها لحوم وشحوم بشكاوى قليلة ومدح كثير، تأتي من شيوخ عشائر ووجهاء المنطقة ، الذين يسيرون فوق معاناة الشارع ، وتضيء منازلهم أعمدة وأسلاكاً لا يملكها الفقراء ، والماء يخجل ألا يكون في الصنابير ...كيف لا وإنهم الراسخون في إعداد الولائم ...كانت هذه كلمات أهالي منطقة الثعالبة البعيدة القريبة عن عيون الأمانة ومحافظة بغداد ، هي من ضمن منطقة بوب الشام وتقع شمال العاصمة على الطريق العام الذي يربط بغداد بمحافظة ديالى وكركوك والمحافظات الشمالية الأخرى، بالقرب من بوابة بغداد الشمالية، ومجاور شركة حمورابي العامة للمقاولات الإنشائية؛ إحدى تشكيلات وزارة الإعمار والإسكان.

مزارع الثعالب

يعتقد ساكنو المنطقة أنها كانت مزارع وتكثر فيها الثعالب – حسب قولهم – ومنها اكتسبت الاسم (على الرغم من أنهم تمنوا اكتسابهم مكر الثعلب في التغلب على مشاكلهم مع الخدمات) ، الحي السكني يضم أكثر من ٦٠ ألف نسمة ، وأكثر من ١٢ ألف وحدة سكنية – حسب قول أعضاء المجلس المحلي – بدأ توزيع الأراضي في عام ٢٠٠٠ من قبل النظام المباد لبعض الضباط ونواب الضباط في الجيش العراقي السابق، ومدت شبكة الماء والكهرباء على قدر الوحدات السكنية التي بنيت في تلك الفترة ، لكن ما حدث بعد عام ٢٠٠٣، هو أن المنازل بدأت تتكاثر وتخلق أحياء جديدة لم تكن موجودة ... استقبلنا الأهالي استقبال الفاتحين ،وترك احد الرجال طفلته الصغيرة في باب منزله ذي البوابة الحديدة الحمراء وجاء إلينا مسرعا حين عرف بمهمتنا الصحفية ، وما هي الا ثوان حتى تجمع الناس من حولنا ... " أنتم جماعة التبليط "؟.."نريد حلاً رجاءً "..." نحن منسيون "... عبارات السكان كانت واضحة بأن المنطقة تشكو سلبيات كثيرة .

تطوع احد شبان المنطقة ليكون مرشدنا في متاهات "الثعالبة "، فلم تكن المنطقة قد زارها الإسفلت ولو مرة واحده في حياته، ومدخل الحي السكني لم يكن سوى ارض ترابية، تستقبلك لوحة معدنية غير نظيفة كتب عليها " الثعالبة ترحب بكم ...محلة ٣٦٣ " .علي الشاب الذي قرر متابعتنا في رحلتنا أكد لنا أن المنطقة لا توجد فيها مجار ، والنظام المتبع هو المخازن التي ينشئها الأهالي أسفل المنازل ...ويبدو أن الأمر واضحا ، فمستنقعات وبرك المياه الآسنة تتجمع في معظم أركان المنطقة ، وتجاور شركة حمورابي بحيرة كبيرة من مياه "الجيف " المعفر بالقاذورات والأنقاض .

يقول مرشدنا " لا نرى سيارات أو آليات الأمانة أو أي جهة بلدية أخرى ...والنفايات تتجمع لتكون تلالاً".

الجهات البلدية وحسب قول الأهالي تقوم بشق حفرة في إحدى المساحات الفارغة وتضع فيها الازبال ومن ثم تقوم بطمرها.

"لا تصدقوهم "....!

ويرفض رجال كبار في السن تصديق سيارة "الشفل " التي كانت متواجدة بالصدفة في المنطقة، وهي تقوم بتعديل الشارع – ويبدو أن الأمر مستحيلا – لأن الطرق وعرة جدا وتملؤها الأنقاض ، وتعجز الآلة الكبيرة عن جعل الشارع مستقيما ...يقول أبو محمد وهو يقف مقابل (الشفل) ، " لا تصدقوهم ...إنهم يقومون بذلك لإيهامنا بالتبليط ...وهذا لن يحدث أبداً " . يضيف أبو محمد : هذا المشهد يتكرر في كل مرة ... أنفقوا ٣٠٠ مليون من اجل (السبيس) خلال السنوات السابقة ،ولم نر الإسفلت... لا يمكننا الخروج في وقت المطر والطلاب يبقون في البيوت ".

وماذا عن الخدمات الأخرى ...؟

المنطقة تخلو من المدارس ، سوى واحدة ابتدائية ، والأطفال يذهبون إلى منطقة الشعب التي تبعد بمسافة طويلة عن "الثعالبة "، أو إلى منطقة بوب الشام التي أيضا ليست قريبة ، أو عليهم تحمل خطورة عبور الطريق السريع إلى الجهة المقابلة التي تسمى بـ"سريدات " التي تضم مدارس أيضا . الحي السكني فيه عدد من الأبنية المدرسية ولكنها لا تزال هياكل ، ولم نر في جولتنا أي حركة بناء حين ممرنا بها ، وكل ما شهدناه كان برك المياه المتجمعة حول مشاريع المدارس .

كما تشكو المنطقة عدم وجود مستشفى أو مستوصف قريب ، أو مركز شرطة، فالوحيد يقع في مكان بعيد خارج المنطقة في بوب الشام . تقدمنا مع مرشدنا في "الثعالبة " ، ولفت انتباهنا رجل عجوز يحفر لوضع خراطيم مياه بيضاء وسوداء تمتد لأمتار طويلة جدا... جدا تصل إلى أكثر من ٢٠٠ متر ، تمر بين المنازل وفوق برك المياه المنتشرة ... " بعض أحياء الثعالبة لا يوجد فيها ماء ...الأهالي يمدون الخراطيم من منطقة إلى أخرى "،يضيف مرشدنا: " شبكات المياه تتوقف عند شارع معين – حد فاصل – بين الماء واللاماء ، حيث تمد الأنابيب البلاستيكية وينثقب البعض منها ويختلط مع مياه المخازن "المجاري" .

أنظمة "التجطيل " .. والمسؤول نائم

"الثعالبة " خارج الخدمة بمعنى الكلمة ، الطرق غير المعبدة لا تمر عليها أي وسيطة من وسائط النقل ،ولا حتى "ستوتة" والأهالي يعتمدون على أقدامهم في التنقل ، والمولدات الأهلية غير مشمولة بحصة "الكاز" فما زال سعر الأمبير ١٢ ألف دينار، وشبكات الكهرباء تعتمد نظام "التجطيل " لأن اغلب الأحياء لا توجد فيها شبكة كهرباء.

يجمع معظم الأهالي بأنهم لم يشاهدوا مسؤولا واحداً يزور "الثعالبة " ، ويضيف أحد السكان الغاضبين " مسؤول كبير في بلدية الشعب – التي تتبع لها الثعالبة – زار المنطقة متخيلا بأنها زراعية ...انه لا يعرف بأن المنطقة (طابو) ملك صرف منذ عام ١٩٨٣...اتصل الرجل – مسؤول البلدية – بدائرة العقارات وتأكد من الأمر ...ومن ثم ذهب لتناول الغداء عند أحد الشيوخ ". والأمر ينطبق أيضا – حسب وصف السكان – على المختار الذي لم يطرق باب احد للتأكد من انه حيٌّ أو متوفى.

عجلات حديثة وسط ركام قديم

مسؤول بلدية الشيوخ والوجهاء

بعض أعضاء المجلس المحلي للثعالبة يؤكدون أن مسؤولا في بلدية الشعب يتعامل بطريقة غريبة ومميزة مع مشاكل المنطقة ومع الأهالي ، ويشدد الأعضاء على " انه يزور المنطقة دون أن يعلم أي جهة ...ويذهب إلى شيوخ العشائر ...ونحن نعلم بزيارته بعد ذهابه من قبل وجهاء المنطقة الذين يحملون رقم هاتفه الذي نحن لا نعرفه".

المجلس الذي كان ضيفا على مبنى دائرة الماء التابع لبلدية الشعب ، لأنه لا يملك مبنى خاصا به لافتقاره إلى المخصصات التي يحتكرها مجلس محافظة بغداد – حسب وصف الأعضاء– و"المحلي " يخلو من أي أثاث او مدفئة كهربائية او نفطية .

المجلس فك لنا مجموعة من الطلاسم التي كانت تحيرنا في تلك المنطقة ، يقول حميد الحسني عضو المجلس " أمانة بغداد ومحافظة بغداد توعدتانا منذ ٢٠٠٩ بإنشاء المجاري، ولم يتغير شيء حتى الآن "، مضيفا "الوعد الأخير من الجهات المسؤولة أكد أن مشكلة المجاري ستحل في عام ٢٠١٢ " .والأمر لا يختلف حول الكهرباء، فقد وعد مدير عام دائرة كهرباء الصدر– التابعة لها المنطقة – بتعديم الشبكة بمحولات لفك الاختناق . ولم يتم إلى الآن وفق ما رأينا.

الحسني يؤكد أن سبب التوقف في الانجازات كل تلك الأعوام يعود وحسب قول الأمانة الى قلة التخصيصات المالية ، فضلا عن عدم حسم صلاحية عائدية المنطقة بالنسبة للخدمات والمشاريع للأمانة أو للمحافظة.... كما لا يجوز – حسب الامانة – التبليط لأي شارع من دون وجود شبكة مجار .

وبسبب توقف أعمال المجاري إلى اجل غير معلوم ، قامت البلدية بفرش "السبيس" لثلاث مرات خلال سنة واحدة ، وكلفة كل مرة تصل إلى مابين ٦٠– ٧٠ مليونا ، فضلا عن إهمال وجبات أخرى من "السبيس" المرمي في الشارع ، الذي تتصاعد فوقه الملوحة بسبب عدم كفاءته – حسب تقديرات المتخصصين – وعدم كفايته لتغطية المنطقة بالكامل .

من جانبه، يؤكد رئيس لجنة الخدمات في المجلس جميل علاوي :إن عمال النظافة قلصوا من ٢٠ إلى ١٥ فردا ، والآليات من ١٠ إلى أربعة ...بالمقابل وضع ٥ عمال نظافة خصيصا للسيطرة القريبة من المنقطة، لان الأمانة تهتم بالمدخل فقط ، حسب وصف علاوي.

وأكد لنا أعضاء المجلس أن ميزانية بلدية الشعب لشهر التاسع الماضي كانت ١٨٩ مليوناً ولا توجد فيها أي مخصصات للثعالبة أو لبوب الشام .

وفي خبر طريف، عثرت دائرة التحريات والتنقيبات في الهيئة العامة للآثار والتراث، في وقت سابق ، خلال تنفيذها المسح الآثاري في بغداد والمحافظات على سبعة مواقع أثرية في منطقة الثعالبة لم يعلن عنها من قبل.

ونقل بيان لمجلس الوزراء عن مدير الدائرة قيس حسين رشيد قوله: اعتقد أنه سنكتشف الكثير من هذه التلول في مناطق متعددة أخرى في بغداد والمحافظات بعد استكمال مشروع المسح الآثاري الشامل لعموم العراق.

مبارك لأهالي الثعالبة ... ستتحولون من منطقة منسية إلى أثرية !!!

مسؤول بلدي لا يعلم أن المنطقة زراعية أم سكنية! وعلاقته بالشيوخ تنسيه المواطن

المجلس المحلي : وعود المشاريع منذ عام ٢٠٠٩ ولم يتحقق شيء على الواقع

اتحاد مياه المجاري مع مياه الشرب

حميد الحسني عضو مجلس محلي

جميل علاوي رئيس لجنة الخدمات